

## قضايا و آراء

9 من ربيع الثاني 1424 هـ 9 الأثنين يونيو 2003 السنة 127-العدد 42553

### من أسرار القرآن الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزي دلالتها العلمية (89) إن الله فائق الحب والنوي...\* بقلم الدكتور: زغلول النجار



هذا النص القرآني جاء في مطلع النصف الثاني من سورة الأنعام، وهي سورة مكية، ومن طوال سور القرآن الكريم إذ يبلغ عدد آياتها 165 بعد البسملة، وقد سميت بهذا الاسم لورود الإشارة فيها إلى الأنعام في أكثر من موضع؛ ومن خصائص هذه السورة المباركة أنها أنزلت دفعة واحدة، وقد استهلكت سورة الأنعام بحمد الله (تعالى) الذي خلق السماوات والأرض، وجعل الظلمات والنور، وعلي الرغم من ذلك كله يكفر بنعمه الكافرون، ويشرك بجلاله وبوحدانيته المشركون دون أدنى قدر من البصيرة أو العقل.

ثم انتقلت السورة الكريمة بالإشارة إلى خلق الإنسان من طين، وإلى تحديد آجال المخلوقين في سجل مدون عند رب العالمين، وعلي الرغم من ذلك يجادل الكافرون في إمكانية البعث والنشور، وترد عليهم الآيات بأن الله (تعالى) هو رب السماوات والأرض ومن فيهن، الذي يعلم السر والجهر، ويعلم ما تكسب كل نفس.

ثم تتجه السورة بالخطاب إلى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) بأن المشركين لاتاتهم أية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين، فقد كذبوا بالقرآن الكريم ولذلك فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون من خزي في الدنيا، وعذاب في الآخرة، وهو صائبهم لا محالة، وتذكرهم الآيات بأمر كثيرة من قبلهم أهلكتهم الله (تعالى) بذنوبهم بعد أن أعطاهم من أسباب القوة المادية والتمكين في الأرض ما لم يعط كفار قريش، فلم يشكروا نعم الله (تعالى) ولذلك قضى عليهم، وأنشأ من بعدهم قوما آخرين.

وتضيف سورة الأنعام أنه لو أنزل دليل نبوة خاتم الأنبياء والمرسلين (صلي الله عليه وسلم) مكتوبا في كتاب يراه الكفار والمشركون بأمر أعينهم نازلا من السماء ولمسوه بأيديهم لقالوا: إن هذا إلا سحر مبين، ولطالبوا بملك ينزل من السماء يصدق دعوي هذا النبي الخاتم والرسول الخاتم (صلي الله عليه وسلم). ثم يرد الحق (تبارك وتعالى) عليهم بأنه لو أنزل ملكا ولم يؤمنوا به لقضي الأمر بإهلاكهم دون إمهال، ولو أنزل (سبحانه وتعالى) ملكا لأنزله على هيئة البشر حتى يستطيعوا رؤيته، والفهم عنه لأنهم ببشرتهم

لا يستطيعون رؤية الملك وهو في هيئته الملائكية، وإذن لا لتبس عليهم الأمر ولوقعوا في نفس الخطأ الذي هم فيه واقعون...، وما انطبق علي كفار قريش ومشركيها ينطبق علي الملايين من منكري البعثة المحمدية الشريفة ممن جاءوا بعد قريش إلي قيام الساعة.

وتعاود سورة الأنعام توجيه الخطاب إلي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) في مواساة رقيقة بأن الكفار قد سخروا برسول من قبله فحاق بالذين سخروا ماكانوا به يستهزئون، وتأمرة الآيات (صلي الله عليه وسلم) أن يقول للكافرين: سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين، وأن يسألهم: لمن ما في السماوات والأرض؟ وأن يؤكد لهم أن ذلك كله لله الذي كتب علي نفسه الرحمة بخلقه، وقرر أنه جامعهم جميعا إلي يوم القيامة الذي لاشك فيه، وأن الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر قد خسروا أنفسهم في الحياة الدنيا ويوم يقوم الناس لرب العالمين. وتتابع الآيات خطابها إلي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فتأمرة أن يقول لكفار زمانه، وللكافرين في كل عصر وحين من بعده: هل يعقل - بعد كل هذه الأدلة - أن أتخذ وليا غير الله الذي خلق السماوات والأرض علي غير مثال سابق، وهو الذي يطعم عباده بإمدادهم، بمختلف أنواع الرزق، وهو غني عن ذلك كله وعنهم أجمعين، وأن الله (تعالى) قد امره بأن يكون أول المسلمين، وأن يؤكد مخافته (صلي الله عليه وسلم) من عذاب الآخرة؛ وأن الله (تعالى) إذا أصاب عبدا من عباده بسوء فلا كاشف له إلا هو، وإذا أصابه بخير فلا راد لفضله، لأنه (سبحانه وتعالى) علي كل شيء قدير، وهو (تعالى) الغالب بقدرته فوق عباده.

وتعاود الآيات مطالبة خاتم الأنبياء والمرسلين (صلي الله عليه وسلم) بأن يسأل المكذبين بنبوتهم ورسالتهم (من زمانه وإلي قيام الساعة) فيقول: أي شئ أكبر وأعظم شهادة؟ وأحق بالتصديق من الله (تعالى) منزل القرآن الكريم عليه حجة له علي جميع الخلق؟ حجة شاهدة علي صدق نبوته، ورسالتهم، ولينذر قريشا وكل من بلغه خبره، ويحذرهم من جريمتي الشرك والكفر بالله.

وتقرر الآيات في سورة الأنعام أن أهل الكتاب يعرفون خاتم الأنبياء والمرسلين (صلي الله عليه وسلم) كمعرفتهم أبناءهم وذلك من نصوص كتبهم المحرفة والتي بقيت بها بعض بقايا الحق القديم. وعلي ذلك فإن عدم الإيمان ببعثة المصطفى (صلي الله عليه وسلم) يجعل الكافرين به وبعثته يخسرون أنفسهم خسرا بينا، لأنه ليس في الوجود أظلم لنفسه من إنسان افتري علي الله الكذب أو كذب بآياته، أو أشرك به أو كفر بنعمائه أو ادعى نسبة الصحابة أو الولد لله (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا) أو نسبة غير ذلك من الأوصاف التي لاتليق بجلال الله. ومثل هؤلاء الظالمين لا فلاح لهم في الدنيا. ولا نجاه لهم في الآخرة.

وتشير الآيات إلي أن هؤلاء المشركين سوف يسألون يوم القيامة: أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون؟ فيحاولون التخلص من شركهم بالكذب علي الله (تعالى) الذي يقسمون به أنهم لم يكونوا مشركين.

ومن هؤلاء المشركين من كان يستمع إلي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) - وهو يتلو القرآن الكريم - لا يقصد فهمه، والاهتداء بهديه، وإنما يقصد تلمس السبل للطعن فيه، والسخرية منه، وما أكثر الطاعنين في الحق والساخرين منه في زماننا وإلي قيام الساعة، وهؤلاء المشركون في القديم والحديث محرومون من الانتفاع بما يسمعون، وقلوبهم محجوبة عن رؤية حقيقته، وأذنانهم قد اصابها الصمم فلا تسمع جمال نظمه، وروعة تعبيراته، وجمال

معانيه، وعقولهم قد اغلقت دون فهم أدلته، واستيعاب آياته لدرجة انهم يرون الدليل واضحا جليا فلا يؤمنون به، ويجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق، فتارة يتخيلون التناقض في القرآن الكريم وليس به من تناقض، وتارة يدعون كذبا أنه من اساطير الأولين وما هو بذلك أبدا في محاولات يائسة للصد عنه، والاستخفاء من نوره في دياجير الضلال والظلام وهم يتوهمون الهروب عن هديه، ولا يدركون أنهم بذلك إنما يهلكون أنفسهم وهم لا يشعرون والتاريخ يعيد نفسه فكما كان هذا هو حال المشركين في زمن البعثة المحمدية (علي صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم) يتكرر في زماننا علي هيئة قطعان من الجردان البشرية المدعورة والمستترة خلف شاشات شبكات المعلومات الدولية المعروفة باسم الشبكات العنكبوتية (أو الإنترنت) فيملأون صفحاتها بتجنينهم علي الله وعلي رسوله وكتابه بألفاظ لائق بأقل الناس أدبا أو ذوقا أو فهما أو علما...!!!

وترد الآيات في سورة الأنعام علي هؤلاء المتطاولين علي الحق في القديم والحديث وإلي ان يرث الله (تعالى) الأرض ومن عليها - بالإشارة إلي موقفهم وهم يعرضون علي النار، ويعانون من أهوالها، فيصرخون متمنين الرجوع إلي الدنيا لإصلاح ما قد أفسدوا فيها، ومعاودة التصديق بآيات ربهم، وبخاتم الأنبياء والمرسلين (صلي الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين) حتي يكونوا من الناجين، وهم لن يقولوا ذلك إلا من رهبة ما يشهدون من ألوان العذاب المبين، وتقرر الآيات أنهم لو ردوا إلي الحياة الدنيا لعادوا إلي كفرهم الذي نهوا عنه، وإلي كذبهم علي الله، وافترائهم علي أنبيائه ورسله، ولقالوا كما ردوا من قبل قولتهم الكافرة:... إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين\* (الأنعام:29).

وتعاود الآيات استعراض موقف هؤلاء الكافرين والمشركين وقد وقفوا للحساب أمام ربهم الذي يسألهم: أليس هذا بالحق الذي كذبتم به، وأنكرتموه في دنياكم؟ فيجيبون في ذلة: بلي وربنا إنه الحق!! فيرد الله (تعالى) عليهم بأمره أن يدوقوا عذاب النار في الآخرة جزاء كفرهم في الدنيا...!!! وبذلك تقرر الآيات في سورة الأنعام أن الذين كذبوا بقاء الله، أو أشركوا به، وظلوا علي إنكارهم حتي فاجأتهم مشاهد الآخرة قد خسروا خسارنا مبينا، وأن الحياة الدنيا ماهي إلا لعب ولهو - لقصر أجلها، وقلة خطرها - وأن الدار الآخرة هي الحياة الحقيقية لأبديتها وخلودها.

وتعاود الآيات توجيه الخطاب إلي خاتم الأنبياء والمرسلين (صلي الله عليه وسلم) في مواساة جميلة لتكذيب الكافرين والمشركين ببعثته الشريفة وذلك بقول الحق (تبارك وتعالى):  
قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الطالمين بآيات الله يجحدون\* ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا علي ما كذبوا وأوذوا حتي أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبي المرسلين\* (الأنعام:33,34).  
ثم تحدثت الآيات عن عدد من الأمم السابقة الذين كانوا إذا جاءهم بأس الله تضرعوا إليه ليكشف عنهم العذاب، وبدلا من العودة إلي الله (تعالى) بعد رفع العذاب عنهم تصفهم الآيات بقول الحق (تبارك وتعالى):  
... ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون\* (الأنعام:43).

فلما نسوا الاتعاظ بالابتلاء مد الله (تعالى) لهم، وفتح عليهم أبواب كل شئ

ليأخذهم أخذ عزيز مقتدر وفي ذلك يقول الحق (تبارك وتعالى): فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون\* فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين\* (الأنعام:44,45).

وكما انطبق ذلك على الأمم السابقة من أهل الكفر والضلال ينطبق اليوم على غطرسة الصهاينة وغلاة غيرهم من أهل الشرك والكفر والضلال في زماننا، والذين فتح الله لهم أبواب العلوم والتقنية فأغراهم ذلك بالاعتداء على غيرهم من الأمم باجتياحات رهيبه كالتي حدثت ولا تزال تحدث في كل من فلسطين وأفغانستان والعراق، وغيرها من أراضي المسلمين، مما سوف يعجل بدمارهم إن شاء الله رب العالمين.

وأردفت الآيات بالإشارة إلى عدد من نعم الله على عباده، وحذرت من هلاك الظالمين يوم يأتي عذاب الله بغتة، وأكدت أن رسالة المرسلين هي البشارات والنذر وتعاود بتوجيه الخطاب إلى خاتم الأنبياء والمرسلين (صلي الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين) أن يبلغ الكفار والمشركين بأنه يتبع ما يوحى إليه من ربه لينذر... الذين يخافون أن يحشروا إلي ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون\* (الأنعام:51).  
وتقرر الآيات أن الله (سبحانه وتعالى) قد امتحن المتكبرين من عباده بسبق المستضعفين إلى الإسلام، وتستمر في استنكار شرك المشركين، متبرئة إلى الله (تعالى) منهم ومن شركهم، ومؤكدة صدق ما جاء به القرآن الكريم في حقهم.

ثم تهدد الآيات بوعد الله ووعيده في الدنيا قبل الآخرة، وتنهاي عن الجلوس في مجالس الكفار وهم يتناولون على القرآن الكريم بالطعن في صحته، أو بالسخرية مما جاء فيه من الحق، وتأمّر بالرد على تناولهم الكاذب لعلهم يكفون عن باطلهم، كما تأمر بتذكيرهم بالآخرة وأهوالها، يوم ترتهن كل نفس بعملها، وحيث لا ناصر ولا معين إلا الله (تعالى)، ولا تقبل فدية للنجاة من العذاب.

وتأمّر الآيات كذلك بالإعراض عن المشركين بعد دعوتهم إلى الدين الحق، وبالانصراف إلى عبادة الله الواحد القهار، وأداء الصلاة بحقها من الخشوع والخضوع لله (تعالى) وتقواه، فإن مصير الخلق جميعا إلى الله...!!!

بعد ذلك تنتقل سورة الأنعام بالإشارة إلى جوانب من سير عدد من أنبياء الله، مؤكدة وحدة رسالة السماء التي تكاملت في بعثة النبي الخاتم (صلي الله عليه وسلم).

وتستعرض الآيات وصف حال الظالمين وهم في غمرات الموت، والملائكة ينزعون أرواحهم من أجسادهم، وينذرونهم بالعذاب المذل المهين جزاء ما كانوا يقولون على الله بغير الحق، ويتناولون على آيات القرآن الكريم بالتكذيب، ويستكبرون عن النظر في أنفسهم وفي الكون من حولهم لاستقراء آيات الله في الأفق والاعتبار بها. فعلى الرغم من الأدلة القاطعة في كل ذلك على ألوهية الله، وربوبيته، ووحدانيته، فإن الكافرين قد أشركوا الجن بالله (تعالى) واخلقوا له (سبحانه وتعالى) البنين والبنات، وفي ذلك ترد عليهم الآيات بقول الحق (تبارك وتعالى):

بديع السماوات والأرض أني يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم\* ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو

علي كل شيء وكيل\* لاتدرکه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف  
الخير\*(الأنعام:101-103).

وتتابع الآيات التأكيد علي صدق القرآن الكريم في كل ما جاء به، وعلي كذب  
الكافرين الذين أقسموا علي أنه إذا جاءتهم آية ليؤمنن بها، وذلك لما أصاب  
قلوبهم من ظلام الكفر بالله أو الشرك به، فإذا جاءت كل آية فلن يؤمنوا بها  
أبدا إلا أن يشاء الله.

وتقرر الآيات أن كل نبي من أنبياء الله قد جوبه بأعداء من عناه الإنس والجن  
وذلك ليمحص الله عباده المؤمنين، وليختبر غيرهم ممن لا يؤمنون بالآخرة.  
ولما قال المشركون للمؤمنين: أتأكلون ما قتلتم أنتم (أي ذبحتم) ولا تأكلون  
ما قتل ربكم (أي الميتة)؟ نزل قول الحق (تبارك وتعالى):  
فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم مؤمنين\*(الأنعام:118).

وبينت الآيات ما حرمه الله (تعالى) علي عباده المؤمنين من المطعومات التي  
لايجوز أكلها إلا ما دعت إليه الضرورة.  
وتنتقل الآيات إلي استعراض عدد من آيات الله في الكون، مؤكدة أن الإسلام  
العظيم هو صراط الله المستقيم، وواصفة جانبيا من أحوال الكافرين في يوم  
الدين، والملائكة يدفعون بهم إلي النار جزاء كفرهم بالله وآياته، وناقضة ما  
ابتدعته أوهام هؤلاء الكافرين من زعم باطل بأنهم جعلوا لله مما ذرأ من  
الحرث والأنعام نصيبا، ولشركائهم الذين أشركوهم مع الله (تعالى) - ظلما  
وعدوانا - نصيبا آخر، فما يجعلونه للأوثان يصل إليها، وما يجعلونه لله لا يصل  
شيء منه إلي الفقراء والمساكين. كذلك زينت لهم أوهامهم قتل أولادهم ذبحا  
تقربا لأوثانهم، وسوف ينالون العقاب علي ذلك من الله الذي لو شاء  
ما فعلوه؛ ومن ذلك تحريمهم لأنعام معينة، ومحاصيل محددة لا يأكلها أحد إلا  
من يختارون من خدمة أوثانهم، وأنعام حرموا ركوبها، وأنعام لا يذكرون اسم  
الله عليها عند ذبحها افتراء علي الله، ومن أوهامهم التي ابتدعوها القول بأن  
ما في بطون الأنعام التي حرموا ذبحها أو ركوبها من أجنة هي خالصة للذكور  
منهم دون الإناث، فإذا نزلت ميتة فهم فيها شركاء مدعين كذبا أن هذا تشريع  
من الله (تعالى) الذي سوف يجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم، وتوصي الآيات  
رسول الله (صلي الله عليه وسلم) أن يتركهم وما يفترون علي الله من الكذب  
الذي سوف ينالون العقاب الرادع عليه إن شاء الله (تعالى).

وتؤكد الآيات أن الإسلام العظيم بريء من الذين فرقوا الدين الواحد بالعقائد  
الزائفة، والتشريعات الباطلة، وصاروا بذلك فرقا دينية متعددة، والرسول  
الخاتم ليس مسئولا عن انحرافاتهم وعصيانهم لأن الله (تعالى) وحده هو  
الذي يملك أمرهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون.  
وتختتم السورة الكريمة بتقرير وحدة الدين مرة أخرى وذلك بقول  
الحق (تبارك وتعالى) علي لسان خاتم الأنبياء والمرسلين (صلي الله عليه  
وسلم)

قل إنني هداني ربي إلي صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان  
من المشركين\* قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين\*  
لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين\* قل غير الله أبعي ربا وهو رب  
كل شيء ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلي ربكم  
مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون\*  
(الأنعام:161-164).

هذا وقد سبق لنا تلخيص كل من ركائز العقيدة، وقواعد التشريع التي جاءت في سورة الأنعام، والآيات الكونية التي استشهدت بها، ولا أرى حاجة إلى إعادة ذلك مرة أخرى هنا، كما سبق أن تناولنا عددا من الآيات الكونية في هذه السورة المباركة، ونضيف هنا الدلالة العلمية لقول الحق تبارك وتعالى: إن الله فالق الحب والنوي.....\*(الأنعام:95). وقبل الوصول إلى ذلك لا بد من استعراض سريع لأقوال عدد من المفسرين السابقين والمعاصرين في شرح هذا النص القرآني المبارك.

### من أقوال المفسرين

\* جاء في مختصر تفسير ابن كثير (رحمه الله) مانصه: يخبر تعالى أنه فالق الحب والنوي، أي يشقه في الثري فتنبت منه الزروع علي اختلاف اصنافها من الحبوب، والثمار علي اختلاف ألوانها وأشكالها وطعومها من النوي، ولهذا فسر قوله: (فالق الحب والنوي) بما جاء بعدها....  
\* وذكر صاحب تفسير الجلالين (رحمهما الله) ما مختصره: (إن الله فالق) شاق) الحب) عن النبات (والنوي) عن النخل...

\* وجاء في الضلال (رحم الله كاتبها برحمته الواسعة) مانصه:... إنها المعجزة التي لا يدري سرها أحد، فضلا علي أن يملك صنعها أحد!! معجزة الحياة نشأة وحركة... وفي كل لحظة تنفلق الحبة الساكنة عن نبتة نامية، وتنفلق النواة الهامدة عن شجرة صاعدة. والحياة الكامنة في الحبة والنواة، النامية في النبتة والشجرة، سر مكنون، لا يعلم حقيقته إلا الله؛ ولا يعلم مصدره إلا الله... وتقف البشرية بعد كل ما رأت من ظواهر الحياة وأشكالها، وبعد كل ما درست من خصائصها وأطوارها... تقف أمام السر المغيب كما وقف الإنسان الأول، تدرك الوظيفة والمظهر، وتجهل المصدر والجوهر، والحياة ماضية في طريقها، والمعجزة تقع في لحظة!!!  
\* وذكر صاحب صفوة البيان لمعاني القرآن (رحمه الله رحمة واسعة) ما نصه: (إن الله فالق الحب والنوي) شروع في ذكر دلائل كمال القدرة والعلم والحكمة، بعد تقرير دلائل التوحيد والنبوة. و(فالق) أي شاق، يشق الحبة اليابسة كالحنطة فيخرج منها النبات الأخضر النامي، ويشق النواة اليابسة فيخرج منها النخلة والشجرة النامية....

\* وذكر أصحاب المنتخب في تفسير القرآن الكريم (جزاهم الله خيرا) ما نصه: إن دلائل قدرة الله علي البعث، واستحقاقه وحده للعبادة،... متوافرة متنوعة، فهو وحده الذي يشق الحب، ويخرج منه النبات، ويشق النوي ويخرج منه الشجر،....

وجاء في تعليق الخبراء بالهامش ما يلي: من دلائل قدرة الله سبحانه وتعالى خلق الحب والنوي والجنين في كل مكان منها يشغل حيزا ضيقا، أما باقي جسم الحبة أو النواة فيتكون من مواد مكتنزة غير حية، وعندما يتنبه الجنين ويبدأ في الإنبات تتحول هذه المواد المكتنزة إلى حالة صالحة لتغذية الجنين، ويبدأ في النمو، وتتكون الخلايا الحية حتي تنتقل الحبة النابتة من طور الإنبات إلى طور البادرة فيبدأ النبات في الاعتماد علي غذائه من الأملاح المذابة في ماء التربة التي يمتصها الجذير مع ما تكونه الأوراق الخضراء من مواد كربوايدراتية كالسكريات والنشويات في وجود ضوء الشمس، وعندما تتم دورة حياة النبات تتكون الثمار وبداخلها الحب أو النوي من جديد.

\* وجاء في صفوة التفاسير (جزى الله كاتبها خيرا) مانصه: عاد الكلام إلي الاحتجاج علي المشركين بعجائب الصنع ولطائف التدبير فقال سبحانه: (إن الله فالق الحب والنوي) أي يفلق الحب تحت الأرض لخروج النبات منها، ويفلق النوي لخروج الشجر منها وقال القرطبي: أي يشق النواة الميتة فيخرج منها ورقا أخضر وكذلك الحبة....

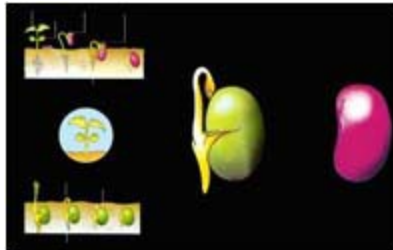
### من الدلالات العلمية للآية الكريمة

للبدور النباتية اسمان متميزان أولهما (الحب) وثانيهما (النوي)، ويعبر بلفظة (الحب) أو (الحبوب) عن البدور المستخدمة كمحاصيل غذائية أساسية للإنسان من مثل حبوب القمح (الحنطة) والشعير، والذرة، والشوفان وكلها من بدور النباتات الوعائية، المزهرة، ذات البدور المكونة من فلقه واحدة، أما البدور ذات الفلقتين فيطلق عليها اسم (البدور) من مثل بذور العائلة القرنية التي منها الفول، والحمص، البازلاء، الفاصوليا، اللوبيا، العدس، الترمس، فول الصويا، الفول السوداني، الحلبة، البامية، كما قد تطلق علي البدور التي لا يأكلها الإنسان من مثل بذور البرسيم، والقطن وغيرها. أما البدور التي لها قدر من الصلابة فيطلق عليها اسم النوي (ومفردها نواة) كما قد تجمع علي أنواع، وذلك مثل نواة كل من البلح، والمشمش، والبرقوق، والخوخ، والزيتون وغيرها، واللفظة تذكر وتؤنث، وقد وردت في القرآن الكريم مرة واحدة، وأيا كانت طبيعة غلاف أو أغلفة البذرة رقيقة هشة، أو سميكة خشبية أو قرنية صلبة فإن الله (تعالى) قد اعطي للجنين الكامن بداخلها القدرة علي شقها وفلقها بمجرد توافر الشروط اللازمة لإنباته، وذلك من أجل تيسير خروج النبتة الجنينية النامية من داخل البذرة في عملية معجزة تعرف باسم عملية إنبات البدور التي تتكاثر بها معظم النباتات الراقية.

والنباتات البذرية التي منها معظم طعوم واحتياجات الناس تضم أكثر من ربع مليون نوع من أنواع النباتات الراقية علي اختلاف أوضاعها التصنيفية، ويمثل كل نوع منها عشرة أصناف في المتوسط علي أقل تقدير، ويمثل الصنف الواحد بأعداد لا تحصى من الأفراد، ويستمر كل فرد من هذه الأفراد في التكاثر عن طريق انتشار أو استنبات بذوره إلي ما شاء الله. وقد يطلق علي كل المحاصيل المستخدمة كمواد غذائية أساسية للإنسان اسم (الغلة) وجمعها (الغلال) بمعنى ما تغله الأرض، وإن كانت لم ترد هذه اللفظة في القرآن الكريم.. وأصل كلمة (الحبة) مستمد من قلب كل شيء أو ثمرته، فحبة القلب سويداؤه، وحبة النبات ثمرته، و(الحبة) و(الحب) بكسر الحاء يقال لبدور نباتات الصحراء مما ليس بقوت للإنسان من مثل بذور الأعشاب، والرياحين، والحشائش، استنادا إلي ما جاء بالحديث الشريف: ... فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل.

وجاء ذكر كلمة (حبة) في القرآن الكريم ست مرات في خمس من الآيات.

### ماهية البدور:



البذور في النباتات الراقية هي البويضات المخصبة، وعلي ذلك فإنها هي وسيلة التكاثر في معظم هذه النباتات لأنها تحوي أجنحتها الكامنة في حالة من السكون المؤقت، والجنين يشغل حيزا ضئيلا جدا من حجم البذرة، أما باقي حجمها فيتكون من مواد غذائية غير حية مكتنزة يحتاج إليها الجنين في مراحل إنباته الأولي حتى يخرج منه المجموع الجذري متجها إلى أسفل، مخترقا التربة (باحثا عن الماء والغذاء علي هيئة الأملاح المذابة في هذا الماء أو من عناصر ومركبات التربة بطرائق مباشرة أو غير مباشرة)، وحتى يندفع المجموع الخضري من الجنين إلى أعلي، باحثا عن كل من الهواء وأشعة الشمس، وبمجرد تكون الأوراق الخضراء، يبدأ النبات في تصنيع الغذاء اللازم لنموه ولبناء جميع خلاياه، وانسجته، وازهاره، وثماره بواسطة عملية التمثيل الضوئي.

ويغلف البذرة بما فيها من الجنين والمواد الغذائية المكتنزة عدد من الأغلفة اللازمة لحمايتها من المؤثرات الخارجية، ومن أهم هذه الأغلفة ما يعرف باسم (القصرة) وهي تتكون من أغلفة البويضة بعد عملية الإخصاب مباشرة، كما يتكون غلاف الثمرة من جدار المبيض فور إتمام عملية الإخصاب.

وعندما يتم نضج البذرة فإنها تحف، ويبقى الجنين الحي بداخلها في حالة من السكون المؤقت حتى تنهيا له الظروف المناسبة للإنبات. وتتفاوت طول الفترة التي تمر بين نضج البذرة وصلاحياتها للإنبات تفاوتا كبيرا، ففي بعض الحالات تكون البذور صالحة للإنبات بمجرد انطلاقها من الثمرة أو إخراجها من داخلها، ومثل هذه البذور إذا تعرضت للجفاف فإن الجنين بداخلها قد يفقد شيئا من حيويته أو يموت، وفي بعض النباتات الأخرى قد يظل الجنين محتفظا بحيويته في داخل البذرة (أو الحبة أو النواة) لسنوات عديدة كما هو الحال في العائلة القرنية، ونوي العديد من الثمار مثل نوي نخيل البلح. وتتباين بذور النباتات في عدد أغلفتها، وفي شكل وطبيعة تلك الأغلفة، وفي حجم وشكل الجنين، وفي طبيعة خزن المواد الغذائية المصاحبة للجنين، إما في نسيج خاص يعرف باسم الإندوسبرم (Endosperm) أو في فلق واحد أو فلقين أو أكثر، وهذا الغذاء المخترن إما أن يكون نشويا دقيقيا أو قرنيا صلبا كما هو الحال في حبة الذرة، أو يكون سيلولوزيا صلبا كما هو الحال في نواة ثمرة نخيل البلح.

### فلق الحب والنوي (أو إنبات البذور)

تقوم أغلفة البذور بحمايتها من المؤثرات الخارجية، وهذه الأغلفة غالبا ما تكون مميزة وتعرف باسم القصرة، ولكنها في بعض الأحوال قد تلتحم بجدار البذرة حتى لا يمكن تمييزها. وقد هيا الخالق العظيم للجنين في داخل البذرة قدرا من الاتصال المحدود بالعالم الخارجي عن طريق ندبة دائرية دقيقة جدا تعرف باسم السرة وتمثل مكان ارتباط البذرة بالحبل السري، ويوجد تحت السرة ثقب أدق منها كثيرا يعرف باسم النقيير، وتغطي هاتان الفتحتان بنسيج اسفنجي يعرف باسم البسباسة له قدرة علي امتصاص الماء، وقد تكون هاتان الفتحتان علي هيئة شقين طوليين دقيقين فيعرفان باسم القلم والكوز. وهذه الفتحات هي مدخل الأوكسجين إلي الجنين، ومدخل معظم الماء الذي تمتصه البذرة وقت إنباتها.

والجنين الكامن في داخل البذرة يتكون من ثلاثة اجزاء رئيسية هي:  
(1) الريشة وتعطي المجموع الخضري بعد نموها، (2) الجذير ويعطي المجموع الجذري بعد نموه، (3) السويقة وتعطي الساق بعد نموها، ويحيط بالجنين



مخزون من المواد الغذائية في نسيج خاص يعرف باسم الإندوسبرم أو في فلقة واحدة أو في فلقتين أو أكثر، وهذه المواد الغذائية المخزنة في داخل بذور النباتات تتكون من المواد الكربوهيدراتية، والبروتينية، والدهون بنسب متفاوتة بتفاوت نوع النبات. فمن النباتات مغطاة البذور ذوات الفلقة الواحدة نبات الذرة، ومن ذوات الفلقتين نبات الفول، ومن النباتات عديدة الفلقات الصنوبر وهو من النباتات معراة البذور. وقد تبقى الفلقة أو الفلقتان أو الفلقات تحت سطح التربة، وقد ترتفع أو ترتفعان فوق سطح الأرض وتلعب أو تلعبان دور أوراق أولية تعرف باسم الأوراق الفلقية.

### من شروط إنبات البذور

بعد فترة السكون التي عاشها الجنين في داخل البذرة الجافة، فإن البذرة لكي تنبت وتتحول بالتدرج إلى بادرة ثم إلى النبات الكامل فإنها تحتاج إلى توافر عدد من الشروط الداخلية والخارجية، والشروط الداخلية تتعلق بالبذرة ذاتها ومنها حيوية الجنين، ونضج البذرة وسلامتها من التسوس والعفن، ومن سمات نضج البذرة تخلصها من المواد الكابحة للنمو والمنتبطة له من مثل الحمض الأبسيسيسي (Abscisic Acid) والذي يتخلق في بعض البذور ليساعد الجنين على السكون والكمون في داخل البذرة، ويضمن سباته حتى تتوافر له الظروف المناسبة لإنباته. وكثير من البذور يتوقف إنباتها على إزالة تلك المواد المثبطة للنمو، ويتم ذلك بواسطة الضوء والحرارة، أو بإفراز مواد مضادة للمواد المثبطة بواسطة الجنين ذاته في داخل البذرة، فسبحان الذي قدر ذلك بعلمه وقدرته.

ومن الشروط الداخلية توافر الإمكانية لامتناس البذرة للقدر الكافي من كل من الماء والأكسجين عن طريق فتحات دقيقة هيأها الخالق (سبحانه وتعالى) في جسم البذرة من مثل السرة والنقير أو القلم والكوز، خاصة أن بعض أنواع البذور مغطاة بطبقة خارجية صلبة قد تحول دون وصول القدر الكافي من الماء والأكسجين إلى الجنين إلا بعد أن تمر تلك الطبقة الخارجية للبذرة بسلسلة من النشاطات الطبيعية أو الكيميائية أو الميكروبية التي تعين على تمزيقها. ومثل هذه البذور قد يصعب استنباتها إلا بعد خدش غطائها الخارجي، أو غسلها ونقعها في الماء لفترة محددة، أو تعريضها للضوء أو لدرجات الحرارة المنخفضة (حوالي خمس درجات مئوية لمدة تتراوح بين أربعة وستة أسابيع)، وذلك لأن كلا من الضوء والحرارة المنخفضة يعمل على تنشيط الجنين في داخل البذرة، ومساعدته على الإنبات أما عن الشروط الخارجية فأولها توافر الماء بالمواصفات المناسبة لأنه أهم شروط الإنبات، وبالقدر الكافي لأن عمر البذور بالماء قد يؤدي إلى إفسادها لمنعه الأكسجين من الوصول إلى الجنين في داخل البذرة، وكذلك توافر القدر الكافي من الأكسجين، وتوافر درجات الحرارة والإضاءة المناسبة، وذلك لأن بعض البذور تنشط عملية إنباتها في الضوء بينما البعض الآخر يفضل الظلام.

### التغيرات التي تطرأ على البذرة في أثناء إنباتها

عند توافر كل من الشروط الداخلية والخارجية للإنبات تبدأ البذرة بامتصاص الماء والانتفاخ لزيادة حجمها، وحينئذ تبدأ في داخل البذرة سلسلة معقدة من عمليات البناء والهدم التي تعين الجنين على التحرك بالنمو بعد فترة السكون التام التي عاشها وهو كامن في داخل البذرة الجافة، فيبدأ بالإنبات ليعيد دورة حياة النبتة الأم من جديد. وتشمل عملية الإنبات ما يلي:

(1) امتصاص البذرة للماء، وانتفاخها بسبب الامتلاء التدريجي بهذا الماء حتى

تبدأ القصرة ( غلاف البذرة) في التمزق بسبب ازدياد الضغط عليها من داخل البذرة, وبذلك يصل الماء بالقدر الكافي إلى الجنين, وإلى كتلة الغذاء المخترنة حوله مما يساعد على تنشيط كتلة الغذاء كيميائيا, وعلى تنشيط الجنين حيويا.

(2) بدء الجنين في إفراز عدد من الإنزيمات القادرة على تفتيت وتحلل المواد الغذائية المخترنة حوله في داخل البذرة إما في الفلقات أو في نسيج خاص, وهي مواد معقدة التركيب وغير قابلة للذوبان في الماء, فتحللها تلك الإنزيمات إلى مواد بسيطة وقابلة للذوبان في الماء حتى يمكن للجنين امتصاصها والعيش عليها, أثناء فترات الإنبات الأولى. ومن أمثلة هذه الإنزيمات ما يلي:  
إنزيم الدياستيز الذي يحول النشا إلى سكر.  
إنزيم البروتيز الذي يحول البروتينات إلى أحماض أمينية.  
وإنزيم الليباز الذي يحول الدهون والزيوت إلى أحماض دهنية وجلسرين, ويؤدي ذلك إلى تضخم حجم المخزون الغذائي في داخل البذرة أضعافا كثيرة.

(3) شق التربة: من أهم عوامل شق التربة انتفاخ البذور نتيجة لامتناسها كميات مناسبة من الماء لأن ذلك يولد قوة هائلة تعرف باسم قوة الإنبات لا يكاد العقل البشري أن يتصور قدرها, لدرجة أننا إذا ملأنا زجاجة بالبذور الجافة, وأضفنا إليها قدرا مناسباً من الماء, وأحكنا غلق الزجاجة فإن القوة الناتجة عن إنبات البذور وتضخم حجمها بامتصاص الماء تصبح كافية لتفجير الزجاجات مهما يكن سمك جدارها.  
ويعين على شق التربة تعطش المعادن المكونة لها للماء, وامتصاصه بكميات كبيرة مما يؤدي إلى زيادة حجمها, وارتفاعها إلى أعلى حتى ترق التربة رقة شديدة ثم تنشق لتفسح طريقاً سهلاً للسويقة الممتدة إلى أعلى من البذرة النابتة.  
ويساعد على تحريك جزيئات التربة إلى أعلى غلبة المعادن الصلصالية عليها, وهي على هيئة رقائق صفائحية دقيقة تحتفظ بقدر من الغازات فيما بينها, فإذا تخللها الماء حل محل تلك الغازات, ودفع بها إلى خارج التربة مما يؤدي إلى انتفاخ حبيبات التربة إلى أعلى واهتزازها بعنف حتى ترق التربة وتنشق. ويعين على ذلك أيضاً ما تحمله رقائق الصلصال من شحنات كهربية تتنافر مع الشحنات المشابهة على جزئ الماء ذي القطبية الكهربائية المزدوجة الموجبة على ذرتي الإيدروجين والسالبة على ذرة الأوكسجين.

(4) بدء خلايا الجنين في الانقسام والنمو حتى يمتد الجذير إلى أسفل ويعمل على تثبيت النبتة في التربة, وبذلك تتصل بمصدر غذائها الطبيعي الذي تقوم بامتصاصه على هيئة العصارة الغذائية المكونة من الماء وما به من العناصر والمركبات المذابة أو التي يستخرجها المجموع الجذري مباشرة من مكونات التربة, وقد أعطى الخالق ( سبحانه وتعالى) كل نبتة من النباتات قدرات اختيارية عالية تختار بها ما يناسبها من عناصر ومركبات الأرض اللازمة لنموها. وبعد تكون المجموع الجذري ترتفع الريشة مخترقة شقوق التربة لتظهر فوق مستوى سطح الأرض, وبذلك تتحول ( البذرة النابتة) إلى ما يسمى باسم ( البادرة) التي تستطيل بالتدرج لتعطي الساق حاملاً للأوراق والبراعم مكونة المجموع الخضري. وباستمرار مراحل النمو المتتالية تتحول البادرة إلى ( النبات الكامل) فتبارك الله أحسن الخالقين.  
وفي عملية الإنبات قد تبقى الفلقة أو الفلقتان تحت سطح التربة ( محاطة

بالقصرة الممزقة) حتى يستنفد ما خزن بها أو بهما من غذاء في تغذية الجنين, وذلك كما يحدث في إنبات بذور البازلاء, أو إنبات نوي نخيل البلح وفي المقابل قد تنمو السويقة إلى أعلى حاملة معها الفلقة أو الفلقتين إلى ما فوق سطح التربة, ومعهما الريشة, وتأخذ الفلقة أو الفلقتان في الاخضرار التدريجي للمشاركة في عملية التمثيل الضوئي لفترة محددة, حتى تستطيل الريشة وتظهر عليها الأوراق الخضراء مكونة المجموع الخضري للنبات الذي يقوم بعملية التمثيل الضوئي, وحينئذ تضمم الورقة الفلقية أو الورقتان الفلقتان وتسقط أو تسقطان بعد استنفاد ما بهما من غذاء.

هذه العمليات المعقدة في فلق الحب والنوي لا يقوي عليهما أحد من الخلق, ولا يمكن لهما أن تتما بغير توجيه, وهداية ربانية ومن هنا نسب الحق (تبارك وتعالى) هاتين العمليتين لذاته العلية تشريفًا لهما, وتعظيمًا لشأنهما لأنه بدونهما ما كانت هناك إمكانية للحياة علي الأرض ولذلك قال (عز من قائل):  
إن الله فالق الحب والنوي... (الأنعام:95)

فالحمد لله علي نعمه المتعددة ومنها فلق الحب والنوي, وعلي رأس تلك النعم: القرآن الكريم, الذي أنزله ربنا (تبارك وتعالى) بعلمه علي خاتم أنبيائه ورسوله (صلي الله عليه وسلم) وتعهد (سبحانه وتعالى) بحفظه في نفس لغة وحيه, كلمة كلمة, وحرفًا حرفًا, ولذلك بقي القرآن الكريم محتفظًا بجلال الربوبية المتلألئ بين آياته, وبالذقة العلمية الواضحة في كل اشاراته, والشاهدة علي صدق وحيه, وصدق نبوة الرسول الخاتم الذي تلقاه. فصلي الله وسلم وبارك عليه وعلي آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلي يوم الدين, والحمد لله رب العالمين.